الخليج

الرأي, مقالات

12 يناير 2018 03:50 صباحا

كل عام وأنتم بخير

الكاتب

عبدالعزيز المقالح
د.عبدالعزيز المقالح

جميل أن نردد هذه العبارة المسكوكة باقتدار، وأن نقول لأنفسنا أولاً وللآخرين في عالمنا ثانياً «كل عام وأنتم بخير» وإن كان واقعنا العربي لا يتمثل هذه العبارة ولا يمثلها حتى آخر يوم في العام المنتهى الذي رحل منذ أيام على أمل أن يكون العام الجديد جديداً ومختلفاً ومليئاً بالأمن والأحلام الجميلة، وعكس ما قدمته لنا الأعوام الماضية، ومنذ استشرت الخلافات فيما بيننا وتحولت في بعض أقطارنا إلى نزاعات وحروب تكاد تأتي على الأخضر واليابس وتعيدنا إلى أسوأ ما كان عليه حال أسلافنا من ضحايا «داحس والغبراء». ولأسباب غير مفهومة ولا معقولة جعلت الأمة تبدد الأيام والأعوام في تراكمات سلبية تعيق عجلة التطور النسبي الذي كانت قد حققته في عقود من القرن العشرين وفي مناخ التقارب والوئام العربي الذي كان قد تحقق.

ومن الواضح أن غياب المشروع الجامع الذي من خلاله تقاس عوامل النجاح والفشل قد لعب دوراً في التراجع وفي الوصول بنا إلى هذا الوضع المحزن والمريع ومهما كانت محاولات الترقيع والتلفيق التي كانت تتم لمواجهة التدهور السريع فإن الحل كان ولا يزال معلقاً بإيجاد المشروع الذي يضعنا أمام قضايانا ولا نحتاج معه إلى مؤتمرات أو وساطات أولية، ولتكن البداية من دراسة الخلافات المستشرية.

وهي خلافات ذات شقين، الأول منها صناعة أجنبية انحدرت تحت عنوان قديم تكررت الإشارات إليه ملايين المرات وهو «فرّق تسد» والشق الآخر ذاتي ومن نتاج الحساسيات والأوهام ولا يثبت لحظة أمام البحث الجاد والرؤية العقلانية. وإذا ما توفر الإخلاص والوعي والخروج من دائرة النفوذ الأجنبي غير المنظور فإن حلها يصبح ممكناً بل أكثر من ممكن ولا يحتاج سوى إلى حسن النية والالتزام بمبدأ وحدة الصف العربي الذي لن يتم في وجود الحساسيات والخلافات القائمة على أشياء صغيرة ومن المؤسف أن نقول تافهة.

وفيما نحن على أبواب عام جديد يتوقف العالم في مطلعه ليستعرض البعض من أبنائه إنجازاتهم لعام مضى وما لم

ينجزوه فيه فمازال من حقنا رغم الأوضاع المتردية في عدد من الأقطار التي لم تنجز سوى المزيد من القتل والدمار أن نرصد خسائرنا وما تحقق من إنجازات ويمكن الحديث عن بعض النجاحات التي حققتها أقطارنا العربية على المستوى المحلي، أما على المستوى القومي فقد تساوت مواقف الجميع وكانت الخسارة أوضح من يشار إليها وتتحدد أبعادها وينبغي التنبه ـ في هذا الصدد ـ إلى أن أي نجاح أو إنجاز محلي أو إقليمي لن يحقق هدفه المادي والمعنوي في الظروف القومية الراهنة، وهو ما يؤكد حقيقة الترابط القومي وما يعكسه الخلل الناتج عن التفكك من حروب معلنة وأخرى خفية مع أن في إمكان هذه الرابطة التي يستحيل خروج أي قطر عربي على قانونها التاريخي الثابت، أن تكون أداة قوة ووسيلة لتحقيق أعظم المكاسب على المستويات المادية والمعنوية إذا لم يدرك الجميع أهمية التخلي عن الانكفاء والالتزام بالتضامن الجاد.

ورغم السلبيات والمعوقات والمرّوعات التي سبقت الإشارة إليها فإننا سنحرص على أن نقول لكل من نلتقيه سواء من نعرفه أو لا نعرفه «كل عام وأنت بخير» وأن نبدأ كل مهاتفة بهذه العبارة الأثيرة على أمل أن يحمل هذا العام خيراً أو بعض الخير لأمة عانت كثيراً مع أعدائها ومن أبنائها في كثير من الأيام والأعوام.

abdulazizalmaqaleh@hotmail.com

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©